بائعة الريحان

بائعة الرّيحانِ
في قريةٍ رابضةٍ
في قمَّةِ الجبلْ
تعيش في أمان
تواجهُ الحياةَ
بابتسامةِ الأملْ
وعندما..
تَبيِّضُ ظُلْمةُ المساء
بَيْضَةَ السَّحرْ
وقَبْلَ أنْ يَفترَّ
مبسمُ الأُفُقْ
عَنْ بسمةِ الصَّباحِ
تكونُ..
قد أناختِ الرِّكابَ

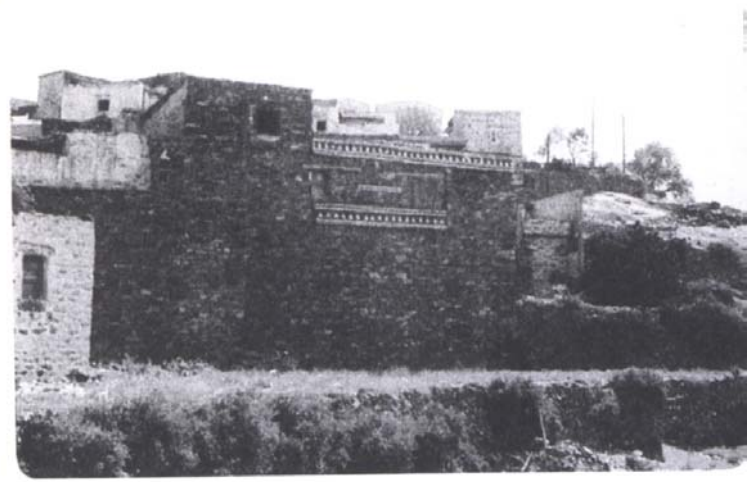

❖ صورة لجزء من القرية الرابضة على قمة الجبل❖

في « الغشامرَهْ»

وقريةُ «الغشامرهْ»

مقرُّ سوقِ السَّبْتِ

كلَّ «دَوْرْ»

تبيع فيهِ..

الشِّيحَ والريحانْ

وربّما..

تبيع «قَرْنَ مَوْزْ»

وربّما قرنينْ

وقبل أنْ يودِّع النَّهارُ

وعند نَزعِهِ الأخيرِ

تكون في منزلها

تُدَقِّقُ الحسابَ

بائعةُ الرَّيحانِ

مَنْ ياتُرى

❖ صورة لقرية « الغشامرة» مقر سوق السبت قديمًا

ويلاحظ زحف المباني الحديثة على القرية❖

بائعة الرَّيحانِ؟

امرأةٌ تخمشها

مخالبُ التسعينْ

امرأةٌ عجوزْ

في وجهها المجعَّدِ الجبينْ

إشارةٌ

إلى تعاقُبِ السنينْ

بائعةُ الرَّيحانِ

في وجهها..

تَلبَّدتْ متاعبُ الزمَنْ

وفي انحناء ظهرِها

حكايةٌ طويلةٌ

من الوهَنْ

بائعة الرَّيحانِ

حكايةٌ قديمةٌ

❖ سورة تبين مداخل المنازل قديمًا❖

جديدَةْ

أغنيةٌ ريفيَّةٌ

فريدَهْ

بائعة الرَّيحانِ

راويةٌ

لا تعرفُ المِرَاءْ

لا تعرفُ التَزلُّفَ المَشينَ

والرِّياءْ

تقول ما تشاءُ

وربَّما..

يُلْجِمُها الحياءُ

فتلزَم السكوتْ

وتنتهي

حكايةُ الرَّيحانِ

أوْ تموتْ

بائعة الرَّيحانِ
قَذَفْتُ..
في مسمعها السُّؤالْ
ترنَّح السؤالُ
واستطالْ
وصالَ حَوْلَ سمعها
وجالْ
بائعة الرَّيحانِ
في عينها شرودْ
في سمعها ثِقَلْ
وربَّما راودَها الخجلْ
فأسدلتْ..
مِنْ صمتها حجاباً
لكنني ـ برغم صمتها ـ
قَذَفْتُ بالسُّؤالِ

يَتْبَعُ السؤالْ

فالتفتتْ إليَّ في ذهولْ

وهَمَسَتْ تقولْ:

تريدُ نْ أحكي لكَ الحكايَهْ

فقلتُ ـ في تلهُّفٍ شديدْ

نعم ...

وكيف لا أريدْ؟!

بائعةُ الرَّيحانِ

رمَتْ إليَّ نظرةً طويلَهْ

وأردفتْ بآهةٍ ثقيلَهْ

وانطلقتْ تقولُ:

حكايتي حكايهْ

أما ترى بأنني

أصارعُ الهرَمْ؟!

كأنَّني..

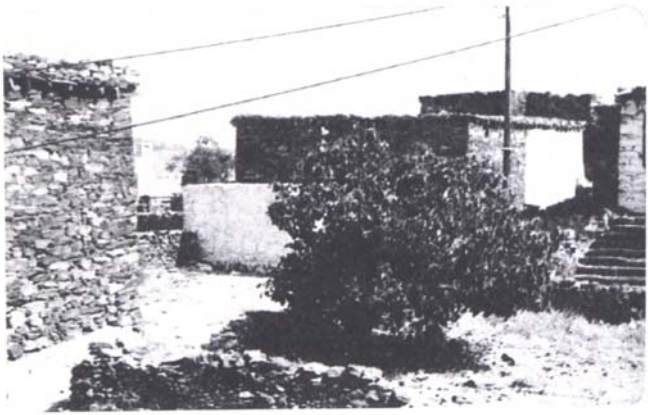

❖ جزء من القرية ❖

تساؤلٌ من عصرنا القديم
عن كلِّ ما أراهُ..
من جديدِ
أَوْ أنني علامَهْ
تُخْبِرُكم بما مضى
من عيشنا الزهيدِ
حكايتي حكايَهْ..
قد عِشْتُ ـ يا بُنيَّ ـ
عالَمَيْنْ
وُلِدْتُ مرَّتينْ
وربَّما..
أموت مرَّتينْ
ما بين أمسي ـ أيُّها الفتى ـ
وبين حاضري
مسافةٌ بعيدةٌ بعيدَهْ

بدأْتُها وحيدَهْ

وربَّما

أَنهيتُها وحيدَهُ

بالأمسِ..

كانت الحياةُ هادِئَهْ

وكانت النفوسُ

هانئَهْ

واليومَ ـ يا بُنيَّ ـ مثلَما ترى

تقاربَ الزَّمَنْ

فالنومُ في وطنْ

وقهوةُ الصَّباحِ

في وطنْ

تقاربَ الزَّمنْ

لكنَّني..

أُحسُّ بالتَّباعُدِ المخيفِ

في أَنْفُسِ البشَرْ

ما عاد في القلوبِ

نَبْضُها القديمُ

وحبُّها العظيمُ

تقاربَ الزَّمَنْ

والناس يا بُنيَّ يَلْهثونْ

وربَّما أتاهم اليقينُ

وهم على الطريقِ

يلهثونْ

حكايتي حكايَهْ

في قريتي...

بدأْتُ رحلةَ الطفولَهْ

في قريتي..

لعبتُ بالترابِ والحَصَى

رعيتُ..

في طفولتي الغَنَمْ
وفي الصِّبا..
رعيتُ بيتي الصغيرْ
وأيُّ بيتٍ ـ أَيُّها الفتى ـ ؟!
ما عرفتْ جدرانُه الدِّهانْ
وأرضُه..
لم تعرفِ المفارشَ الوثيرَهْ
ما كان في منزلنا «كَنَبْ»
ولم يكنْ في غرفتي سرير
وأينَ غرفتي ؟!
كشوكةٍ..
في حَلْقِ بيتنا الصغيرِ
ولم تكنْ
إذا أتى الشتاءُ
تحرمنا من لذَّةِ المطرْ

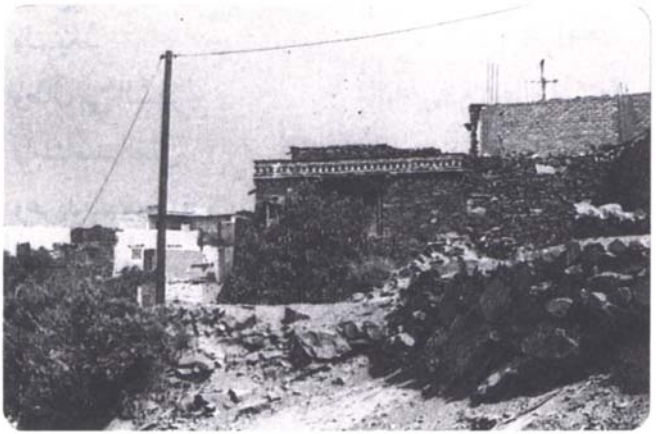

❖ صورة لبيت القاسم من بعيد ❖

لكنَّ بيتَنا

بالرغم من مظهرِهِ الحقير

لم يعرفِ الشقاءْ

وربَّما..

لأنه لم يعرفِ الثَّراءْ

حكايتي حكايَهْ

من بيتيَ الصغيرْ

كنت أملكُ الوجود

أحسُّ أن طفلتي «شريفهْ»

تقرِّب البعيدْ

ولا تسلْ عن رجل قصير

يفاجئُ الذي يراهُ

بمظهر حقير

يداهُ ما صافحتا

نعومةَ الحياةِ

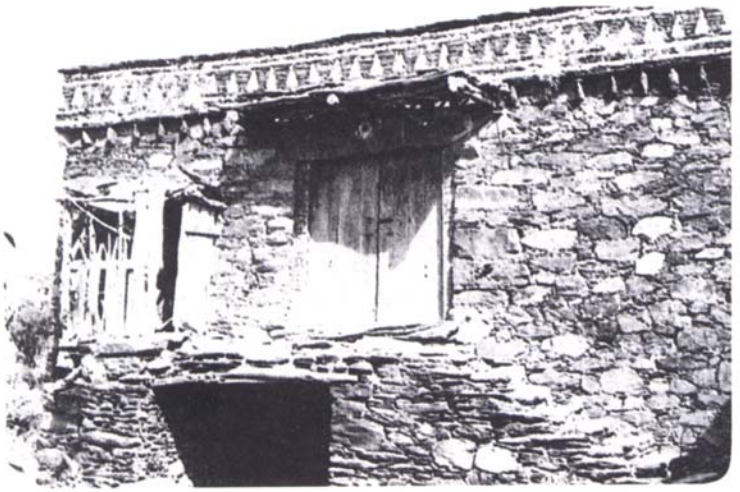

❖ صورة لبيت كبير من بيوت القرية وقد زُيِّنت
شرفاته بأحجار المرو الأبيض وهو منزل «القاسم»
في قرية عراء وكان يسمى في وقته «قصراً» ❖

لكنَّه بطلٌ

في وجههِ ابتسامةُ الأملٌ

منحتُه عنايتيٌ

وحبِّيَ الكبيرٌ

أغضُّ طرفي إنْ قسا

أو ثار في غضبٌ

وربَّما يضربني

لا أعرف السببٌ

فألزمُ السكوتَ

وإنَّما السكوتُ من ذهبٌ

ما كانَ في قريتنا

«تلِفازٌ»

ولم تكنْ تهمُّنا الإذاعةٌ

وسكتتْ بائعةُ الرَّيحانِ

ولم يطلْ سكوتُها

بل أردفتْ تقولُ:

دعني أقصُّ هذه الحكايةَ
العجيبَهْ:
في سفرٍ إلى ابنتي
وأيّما سفَرْ؟!
في ذلك الزمانِ
لم تُعبَّدِ الطُّرُقْ
وصلْتُ
ـ بعد رحلةٍ طويلهْ ـ
إلى ابنتي شريفَهْ
دخلتُ بيتَها
رأيتُ في مجلسها العَجَبْ
أَرجلٌ في بيتها غريبُ؟!
هل فُقِدَ الحياءُ
وانتهى الأدبْ؟!
ردَدْتُ فوقَ وجهيَ
الحجابْ

وعَدْتُ نحوها
وصحتُ في غضبٍ:
أغيَّرتْ طباعكِ المدينَهْ
وكيف..
تدخليننى على الرجلْ؟
ومن هو الرجلْ؟
وهالَني أنّي رأيتُ زوجَها
يغالبُ الضَّحِكْ
وكدتُ أنْ أَثُورا
لكنَّها تلطَّفتْ وقالت:
هذا هو «التِّلفازُ»
تنهَّدتْ بائعة الريحانِ
وذهبتْ تقولُ:
ما كانَ في قريتنا تلفازُ
ولم نكُن..
نشاهد الفتاةَ ـ يابنيَّ ـ

تكاد تأكلُ الفتى
ما كانَ في النِّساءِ
هذه الوقاحَهْ
يا ضَيْعةَ الحياءْ!
أحسُّ يا بنيَّ
أنَّ سوسةَ الرذيلهْ
ستأكل الفضيلَهْ
وأنَّكم..
في كأسِ هذه الحضارَهْ
ستشربونَ حسرةً
شديدة المرارَهْ
وأنَّكم ..
ـ كما هتفتُ ـ سوف تهتفونْ:
ياضيعةَ الحياءْ!
وعاودتْ بائعة الرَّيحانِ
حديثها الطويْل

ولملمتْ ثيابَها
وانطلقتْ تقولْ:
في بيتيَ الصغيرِ
صرت أعرف «الصُّدُرْ»
ألستَ تعرفُ «الصُّدر»؟
مزارعٌ لزوجيَ الحبيبِ
في تهامَهْ
كم صافحتْ أرجلُنا
طريقَها الطويلَ
في اليوم مرَّتينْ
ونحن نصعد الجبالْ
وأيّما جبالْ؟!
تناطح السَّحابَ في شموخْ
لا تعرفُ الرضوخْ
في بيتيَ الصغيرِ
ذقتُ لذَّة الحياهْ

وذقْتُ لذَّة الكفاحِ

والتعبْ

ومرَّتِ السِّنونُ

ولا تسلْني..

كيف مرَّتِ السنونُ؟

وأقبل الخريفُ

ولا تسلْني..

كيف أقبل الخريفُ؟

عشيَّةَ الخميسْ

وكانت الشمسُ

تعانق المغيبْ

وكنتُ ..

في انتظار زوجيَ الحبيبْ

وزحفَتْ مواكبُ الظلام نحونَا

ولم يَعُدْ

وابتلع السكونُ قريتي

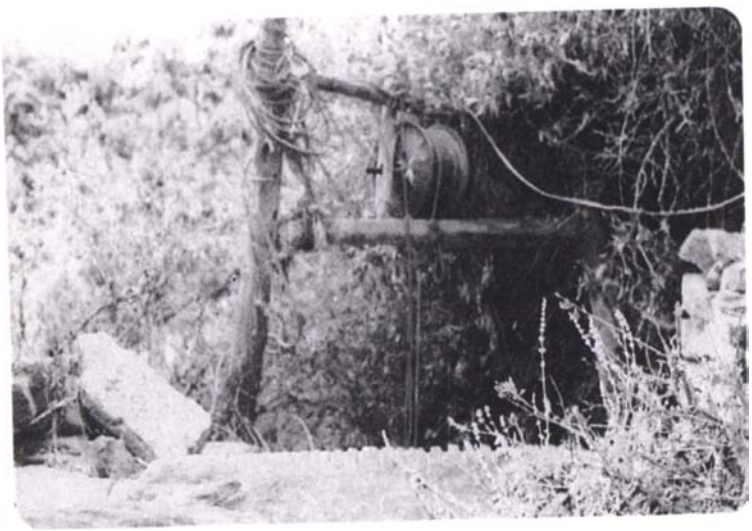

❖ صورة للبئر التي تجلب النساء منها الماء ❖

ولم يَعُدْ
وطالَ بيْ السَّهَرْ
واستأسد القلقْ
وعربدتْ مخاوفي
وشمَّر الأرقْ
وزوجيَ الحبيبُ
لم يَعُدْ
واشتعلتْ مواقد الظنونْ
والناسُ نائمونْ
وزوجيَ الحبيبُ ... لم يَعُدْ
عشيَّةَ الخميسِ
غامت السماءُ
فرعدُها يُخيفُ
وبرقُها..
يكاد يخطف البصَرْ
وزحفَ المساءُ واستبدَّ

بالتِّلالْ

وعندها خرجتُ..

والضياءُ والظلامُ في عِرَاكْ

وقريتي نائمةٌ

فما بها حِرَاكْ

وربَّما سَمِعْتَ..

لو أصخْتَ سمعك الرَّهيفْ

ما يُشْبِهُ الحفيفْ

تُحْدِثُهْ..

«شراشفْ» النساءْ

وربَّما..

سمعتَ تمتَمَهْ

وجُمَلاً منغَّمَهْ

وربَّما سمعتَ

ـ لو أصخْتَ ثانيَهْ ـ

طقطقةَ الحطبْ

كأنَّهُ..
يشكو إليك قَسْوَةَ اللَّهَبْ
وربَّما رأيتَ..
ـ لو أنعمتَ ناظريك ـ
نساءَ قريتي
يَسبِقْنَ ضوء الفجرِ
عند منبع المياهْ
ويالهنَّ من نساءْ
على ظهورهنَّ..
ترقصُ القِرَبْ
وما لهنَّ في المجونِ
من أَرَبْ
خرجتُ..
والسماءُ في وجومْ
والرِّيحُ..
تُزْمِعُ الهجومْ

❖ صورة للقربة ❖

وجسدي..
تهزُّه ارتعاشةٌ غريبَهْ
وخطرتْ خاطرةٌ رهيبهْ
ووقفَ الطريقُ بِيُ
أوْ أنني وقفتُ بِهْ
وجاءني الخَبَرْ
فزوجيَ الحبيبُ
ماتْ
ونالَ من تَماسُكي الدُّوَارْ
وأُسدِلَ الستِّارْ
وبعدَها
بدأتُ رحلة العناءْ
وصرتُ ـ يا بنيَّ مثلَما ترى
بائعة الرَّيحانْ
بائعة الرَّيحانْ